يَهدِ قلبه

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الحليم

الكتاب : يَهِد قلبه
تأليف : د. وسام الشاذلي
إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس 14 × 20
رقم الإيداع : 2021 / 8902
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6660 - 92 - 2

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

محفوظة جميع الحقوق

يَهدِ قلبه

تأليف

د. وسام الشاذلي

إهداء

إلي من كان دائمًا "قريب"، إلى من دعوته وأنا "أعصيه" فاستجاب، إلى من شاهدت "آثار" رحمته في كل شيء، إلى من عاهدته كثيرًا وضعفت وأخطأت ثم عدت فلم يردني أبدًا ... ما زلت أسير إليك بقلب شاب عشريني أردت أن تغير حياته، وبجسد رجل أربعيني يحمل ألف حكاية ورحلة ... يستمع خجلًا إلى كلام ربه "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى"، "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى"، "وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى"، نعم يا رب كنت يتيمًا فآويتني وكنت ضالًا فهديتني وكنت عائلًا فأغنيتني، وما زلت أذكر فضلك عليَّ ورحمتك بي وبغيري من عبادك وأخجل من عطاياك وأخاف من الوقوف بين يديك ... ولا عزاء لي إلا أن رحمتك سبقت غضبك وأنك وعدت التائبين بالعفو والستر وأنك ستدخل الناس الجنة برحمتك، وأنا أُحسن الظن بك وأحاول السير إليك وأحب الصالحين وأفرح بالحق وأكره الظلم والظالمين ولكني كثيرًا ما أتعثر ... كثيرًا ما أتعثر!

وسام الشاذلي

لندن – مارس 2020

***

تقديم

هناك العديد من الأسباب التي تدفع الناس للكتابة، أما أنا فأكتب "لنتغير" ... كل ما أكتبه وكل محاضراتي لها هدف واحد فقط، أن تتحول حياتك للأفضل، أن يحدث تغيير "ولو طفيف" يؤدي بك إلى وضوح في الرؤية ومزيد من الفهم، وهو أمر - لو تعلمون - عظيم! أن يزول همك وينشرح صدرك وتدرك سر السعادة وقيمة العمر، وهي أشياء غالية فعلًا ولا تشترى! كل حرف وكل كلمة في هذا الكتاب مختلطة بلحمي ودمي فعلًا! عشتها قبل أن أكتبها، أردتها "حية" ورسمتها بالكلمات بدون أي تكلف أو تصنع ... ولأنني أعرف جيدًا ماذا يعني الاكتئاب والحزن وماذا تعنى "الحياة الضنك"، فأنا أعدك أنه ورغم أن بعض المشاهد قد تكون صادمة ومؤلمة وقد تحرك مشاعرك وربما دموعك، إلا أنها ستكون كدموع الفرحة في لحظة "الميلاد"! حيث البداية لطريق رائع تتبدد فيه الهموم والأحزان والصراعات وينتهي بـ "الحياة الطيبة" بإذن الله!

ولأنني ما كنت لأكتب أو أحاضر إلا بتشجيع القراء والمستمعين فإنني سأترك لكلماتهم "الرائعة" التي كانت الحافز

الأساسي وراء إصدار هذا الكتاب مساحة التقديم كاملة وبدون أي تعديل أو حتى ترجمة لما كتب منها باللغة الإنجليزية لتبقي على طبيعتها، ويعلم الله بأن هذا ليس من باب مدح النفس، فمن يعرفني جيدًا يعرف أنني لا أحب المدح وأشعر بالخجل الشديد منه، لكنه من باب الشكر لهم والتحدث بـ "نعمة" الله! دمتم بخير.

***

حضرتك من الناس اللي ليها بصمه و علامه اللي لا يمكن الواحد ينساها ، بجد اثرت فينا بشكل كبير جداا ، حضرتك تستاهل اكتر من كده بكتيير ⭐⭐⭐⭐⭐

1

دكتور **وسام الشاذلي** احنا اللي لازم نشكر حضرتك على كل حاجة و بجد احنا كنا محظوظين اننا نقابل قامة زي حضرتك 😊 و محتاجين حضرتك معانا على طول في كل مراحل حياتنا عشان تفضل تمدنا بالأمل و الطاقة اللي يساعدونا نبقى شخصيات ايجابية و طموحة دايما في كل حاجة في حي... **See More**

#رسالة_شكر_وتقدير

النهاردة كان اخر يوم ليا

مع دكتور وسام الشاذلي..انا فعلا عمري في حياتي ما قابلت شخصية بكل الاحترام ده و كم الاخلاص و التفاني في العمل كدة 😊 كان حريص انه يعلمنا حاجات كتير حتى خارج المحتوى الدراسي عشان نستفيد بيها في حياتنا فيما بعد سواء العملية او حتى الشخصية..فعلا عمري في حياتي ما استفدت زي ما استفدت الفترة دي و عمري ما هقدر اوصف انا حاسة بايه 😊 بس انا فخورة ان لسه فيه شخصيات في بلدنا بالاحترام و الاخلاص ده كله في زمن الواحد بيدور فيه على قدوة او مثل أعلى يقتدي به و حسستنا ان لسه فيه أمل طول ما لسه فيه ناس زى حضرتك ! بجد ربنا يبارك لحضرتك و يجازيك كل خير و يخليك لينا و تقدر تفيدنا كلنا بعلمك و يكثر من أمثالك 😍 انا فعلا على اد ما انا سعيدة و فخورة اني قابلت شخصية زي حضرتك على اد مانا حزينة و كنت على وشك العياط النهاردة في المحاضرة

كل الي قولتيه و قده ١٠٠ مره ولا يوفي د. وسام حقه والله ، وفعلا كل كلمه قولتيها نفس الي جوه الواحد ، انا كنت محظوظه اني قابلت شخصية زي د وسام الشاذلي .. شكرا بجد دكتور وسام وافتخر اني كنت تلميذه عند حضرتك، حضرتك من الشخصيات التي لاتنسى 😍

Thank you very much doctor Wessam for the inspiring lectures, it helped me more than my therapist did. Good luck to you too, I'm really honored to meet you.

حضرتك من أحسن الشخصيات ال قبلتها ولسه هقبلها وليك بصمه فى حياة اى شخص بتدرسله ومثال وقدوة حسنه 😊

كم اتمني اعادة حضوري لمحاضراتك مره اخري دكتور وسام مبدع
لك تحياتي من ليبيا ..

نفس الكلام اللى مكتوب ده واكتر بنتى قالتله لما كان بيدرس ليها ربنا يكرمك

كلماتك تلمس القلب فتصعد به إلي السماء .. رحمك الله ياحبيب

جزاك الله خيرا تحيى موات قلوبنا بمنشوراتك

جزاك الله خيرا على التذكرة.. منشوراتك تعتبر من نعم الله علينا والله

حضرتك لم تكتب من مدة طويلة...لعل المانع خير...لاتحرمنا من كلمات النور و الجمال.. ربنا يجعله في ميزان حسناتك .و جزاك الله خيرا

أنا محظوظ بمتابعة كتاباتك يا دكتور. الله يرفع قدرك 🌹

الله الله كأنك تزيل الكثير من الهموم من صدورنا بكلماتك سلمت يمينك والله

كالعادة ....ابداع ....فوق الوصف في سرد المواقف الحية يا دكتور .

ربنا ..يرزقنا الايمان الصادق واليقين والرضا .

عيني ذرفت دموعا متأثرا بالمشهد اللي وصفته ... ربنا يفرح قلوبهم و يسعدهم يا رب..

1

أخي الغالي هكذا أنت صدقك يقطر وسط السطور فنقرأ بقلوبنا لا بشفاهنا

1

والله أقرأ لأستمتع حتي في وصفك لبعض الأشياء التي تبدو ناقصه توصفها بوصف يجعلها كاملة

بوست يشحن الانسان طيبة ونقاء واحساس بالغير دمتم مؤثرين

و كذلك بدا الفيس بوك جميلا بهذا البوست الرائع

ايه الحلاوه و الجمال و الروعه دى .... الواحد بيبقى عايز يعيط و يضحك فى نفس الوقت ... كلام جميل و يشرح القلب ... تسلم اديك يا دكتور

1

الله أكبر. صدقني.. أنا واحد من المحظوظين بمتابعة كتابات حضرتك

2

راحه وسكينه عجيبه فى كتاباتك..

دائما تبكيني وقائعك الصادقة .. لا استطيع ابدا ان اسميها حكايات .

مصدر مختلف للبهجة المبكية انت يا دكتور شكراً لك على كتاباتك

11

كتاباتك يادكتور بحس إنها بتقشط بعض الصدأ المتكون على القلب .. صدأ بيتكون مع كل يوم بعيشه في مصر وكل مدى مابيزيد سمكه ويقسي القلب أكتر وأكتر

استاذ وسام .. اسمحلى واعذرنى على حد سواء
انا مش ببكى ولا بلاقى قلبى الا فى كتاباتك ..
بستمد شجاعتى وانسانيتى وبدفن غضبى
وحماقاتى بين سطورك .. ارجوك كن بخير .. ولا تحرمنا خيرك .

@وسام-Wessam Elshazly شكرا جدا يادكتور وسام احلي كورس حضرته ونفسي مكنش يخلص بجد واتشرفت بيكم كلكم ياجماعة ❤️

10:24 PM

Forwarded

Dr. Wessam u really deserve to be the best instructor for the past 10 years we all enjoyed the course with u and am sure it will have a great impact on our lives..
It was really pleasure meeting u all wish to have the chance to c u all again

10:25 PM

Forwarded

بجد ربنا يبارك لحضرتك ،انت خليتنا نغير نظرتنا في الحياة بجد ربنا يجازيك فينا خير😌
😌

10:26 PM

Forwarded

Dr. wessam😍
it was a pleasure to meet you, Thank you so much for ur effort & support, you are one of the best instructors I have ever met.
Always remember that u r the Source of happiness & positivity, you deserve only the best today and everyday.
see you soon insha'llah🌸🌸

10:26 PM

Dear. Dr. Wessam

Thanks for the amazing course
صار ابكي والله 😭😭 نشوفك على خير يا رب.

4:22 PM

Thanks Dr wessam 🌹
Really you are the best 👍🏼
I need to thank all of you for the amazing atmosfer all of you were very helpful and kind.😍

Many and special thanks for the amazing,professional and the enthusiastic teacher.⇳⇳Dr Wessam 🌹

I'm very proud to know all of you.

Many thanks for every thing 💕💕

11:19 PM

Dear Dr.Wessam,
I just wanna thank you for your great and precious effort u made with us to simplify the material...
U r really supportive and wonderful Dr.and I am so lucky to meet you one day in my life..
Wherever I may go in my life I will always remember that I had an excellent guide and precious gift in the form of Dr.Wesam Elshazly..
I will always remember ur quotations,examples and even ur jokes..and repeat them to people...
Again and Again many thanks ya Dr..
Thank you is not enough for u....🙏🙏🙏

12:40 AM

ثانيا بقي هشكرك علي مجهودك معانا فالكورس وطريقتك في نقل المعلومة احنا كل يوم فالمادة الجديدة لازم نتكلم علي حضرتك وعلي اسلوبك وطريقتك اللي كانت بتخليني اسافر كل سبت ساعتين ونص علشان اجي اتعلم منك واخد منك كم من الطاقة الايجابية الحقيقة كان كفيل انه يشحني اتعب واسافر واتعلم ومازال بيشحني الي الان شكرا يادكتور حقيقي شكرا علي علمك وانسانيتك وكلنا مستنيين المادة الجاية اللي هنقدر ناخودها معاك ونشوفك علي خير تاني ان شاء الله

9:48 PM

المجهولون في الأرض ...
المعروفون في السماء!

طرق على الباب ثم ابتعد قليلًا كعادته، فتحت الابنة الكبرى، سلم بصوته "الدافئ" المميز وسأل عن والدتها، جاءت الأرملة مرحبة وفي يدها باقي الأطفال، نزل على ركبتيه كعادته واحتضنهم ومسح على رؤوسهم "الصغيرة"، أعطاهم أكياس الحلوى وبعض الملابس البسيطة التي استطاع إحضارها، حمل الأطفال بضاعتهم "الثمينة" ودخلوا ليعيشوا لحظات من السعادة والفرحة الحقيقية! أخبر الأم أنه قد دفع إيجار الأشهر الثلاثة السابقة وأنه يعتذر عن التأخير لوجود بعض الظروف الطارئة، شكرته كثيرًا فشعر بالخجل الشديد كعادته واستأذن وانصرف، لم يُرِد أن يحدثها عن تجارته المتعثرة ولا عن ظروفه المادية الصعبة، فقد تعهد أمام الله أنه سيكفلهم، ولا ذنب لهم ويكفيهم ما هم فيه ...

كان الجو باردًا والشوارع شبه خالية، ولكن قلبه "الحي" كان ينبض بأحاسيس تشعره بالدفء، ركب سيارته ... نظر في المرآة للحظات، شعر بسعادة وسكينة وهدوء، ثم ابتسم ونظر لرفِّ السيارة الخالي من النظارة الشمسية "الغالية" ويده الخالية من الساعة الثمينة، يا له من ثمن بسيط للحظات من السعادة الحقيقية والفرحة الصادقة؟! وصل لبيته، وقبل أن يصعد كان

قد خلع ثوب "البطل الأسطوري" وبدا من بعيد كشخص عادي تمامًا! يسير بين الناس ببساطة وهدوء، يجهله معظم أهل "الأرض" ولكنه معروف تمامًا عند خالقه الذي صنعه على عينه ورزقه من رحمته واختصه بأن يكون من صانعي الفرحة، وكذلك يعرفه أهل "السماء"، يحبونه ويدعون له ويستغفرون له وينتظرون لقاءه بشوق، هناك ... حيث السعادة الدائمة والنعيم المقيم، هناك ... حيث لا هم ولا حزن بعد اليوم!

***

طعم الموت ...
وخجل اللقاء!

"هو الموت عامل إزاي يا ماما؟!" هكذا سألتها طفلتها الصغيرة المريضة في لحظاتها الأخيرة في الحياة قبل الرحيل! مريضة منذ ولادتها وتسمع عن الموت كثيرًا ولكنها لا تفهمه، ويبدو أن المحطة الأخيرة قد جاءت ... "متخافيش يا حبيبتي، حتروحي عند ربنا الرحيم، هو اللي خلقك وهو اللي بيحبك، خليكي هادية وكل شيء حيكون رائع، حتجري وتلعبي وتعيشي طبيعية وسعيدة زي أحلامك الجميلة اللي كنتي بتحكيهالي!" ... ثم رحلت الصغيرة بهدوء وكأنها "نائمة" في أحضان والدتها الطيبة!

كيف هو "الموت" يا رب؟! وبأي أرض ستنتهي الرحلة؟! وعلى أي حال سنلقاك؟! نحب لقاءك ونشتاق له ولكننا نخجل منك فعلًا، نعمك كثيرة وعطاءاتك لا تُحصى، وأعمالنا قليلة وعثراتنا كثيرة وبضاعتنا مزجاة ولا ملجأ منك إلا إليك! فاللهم إذا قدرت نهاية "الرحلة" فارحمنا وتجاوز عنا وآنس وحشتنا ... سنكون هناك، نخجلين خائفين مرتبكين، لا ندري ماذا نقول! أحببناك بصدق وأحببنا من يحبك وحلمنا وتمنينا

كثيراً ... ولا رجاء ولا أمل إلا في عفوك ورحمتك ... عفوك ورحمتك فقط يا رب!

***

تطور الساندويتشات 😂

فرحانين بيه جدًا وبيسألوه: "هتفطر معانا". بيرد عليهم ونظرته حالمة جدًا: "لا يا شباب مش هفطر". لسة راجع من أجازة الجواز، وطبعًا هيمد إيده في شنطته ويطلع كيس "أيكيا" الشيك وفيه الساندويتشات المعمولة "بحب"، كل سندوتش فيه رسالة مختلفة: واحد لانشون وكلمة "بحبك" مكتوبة بكور الفلفل الأسود، وواحد جبنة بيضا والخيار معاها على شكل قلوب! كان "استشاري" فطار قبل كدة، هو اللي بيجمع الأوردر ويسجل الطلبات ويحاسب ويجمع الفلوس، ويخسر دايمًا ... وعشان بحبه فعلًا قولتله أنا هقولك الحكاية واسمعها يابني:

- هتفضل شوية تجيب الساندويتشات، وبعد فترة ربنا هيكرمك والمدام هتبقى حامل وساعتها هتقف الساندويتشات أو هتقل جدًا وبالتأكيد مش هيبقى فيها أي رسائل!

- المدام ربنا هيكرمها وهييجي البيبي، وساعتها احتمال كبير إنك انت اللي تعملهم الساندويتشات قبل ما تنزل!

- على أي حال، هترجع وانت محرج شوية وتظهر تاني معانا وتشارك في الأوردر على استحياء، هنرحب بيك برضو ومش حنكسفك ولا نشمت فيك لأنك ـ في النهاية ـ واحد مننا.

- بعد سنوات هتظهر الساندويتشات معاك تاني، شكلها هيختلف كتير والدوام لله وحده! بعضها متاخد منه قطمة، قطعة بيتزا بايتة، رغيف شامي ملفوف بطريقة مريبة ومحتوياته مجهولة، وكتير منها أصناف مش بتحبها أصلًا! يا ترى ما سبب ظهور الساندويتشات تاني؟!! السبب هو بدء دخول الأطفال للمدارس، المدام بتجهز الساندويتشات الصبح، "يا ماما مبحبش الجبنة الرومي"، تنظر له شذرًا وتصدر منها أصوات مكتومة غير مفهومة "طيب وقطمت منها ليه؟! حطها في كيس بابا" وهكذا، هي كدة كدة حتعمل للأولاد يبقى مفيش مانع إنت كمان "As well!" أهلًا بيك :)

بصلي للحظات وهو ماسك الكيس اللي معمول "بحب" وحسيت إن إيده بتترعش وشعره بدأ يبيض! خفت عليه بصراحة وقولتله: أنا بعاكسك بس يا عم، الموضوع مش

بالصورة دي واسألني أنا بعد خبرة السنين في الزواج، عيش اللحظة والمستقبل في علم الله، استمتع بالأكل، أنا حتى معايا ساندويتشات وحقعد أكل معاك، فتحت كيس "التوحيد والنور" بتاعي وطلعت قطعة البيتزا البايتة وبقايا سندويتش الجبنة الرومي وتأملتهم بحيرة حقيقية وبصتله بصة "بريئة" وسألته: "تفتكر أبدأ بأنهي واحد فيهم؟!"

دي قصة عن تطور "الساندويتشات"، وبدون تعميم، مع كامل الاحترام لمجهود وتعب كل الزوجات والأمهات ☺!

***

الأحلام الصغيرة والأسئلة "المرعبة"!

أن تصلي الفجر ثم تذهب إلى المخبز كعادتك بعد شروق الشمس، فتشاهد طفلًا صغيرًا وأخته بملابس المدرسة البسيطة للغاية يطلبون بخجل من البائع أن يعطيهم قطعتي فطائر بـ "جنيه" وهو كل ما يملكون، وهو مصمم بشدة على الحصول على "جنيهين"، ثم ييسر الله لك حل مشكلتهم الصغيرة فتدفع للبائع وتطلب منه بصوت منخفض أن يُعطيهم ما يريدون، يحصلون على بضاعتهم "الغالية"، يشكرك الطفل بدون أن ينظر لك ويمسك بيد أخته وينصرفان بعيون ممتنة نَجِلة ويختفيان بسرعة كما ظهرا بسرعة في زحام المدينة التي لم تعد ترحم! ثم تعود إلى بيتك لتوقظ أطفالك وتسمع زوجتك تمارس مهمتها اليومية في "المحايلة" على الأطفال ليقبلوا مشكورين شرب اللبن والعصير أو أكل "السندويتشات" الكثيرة التي تم إعدادها لهم!

فتدرك ساعتها أن الحياة رحلة قصيرة ولها نهاية ولا شك! أتظنه أعطاك ومنع غيرك لأنه يحبك ويفضلك؟ لا والله، ولكن الكل "مُبتلى" ولا بد من لقاء ووقوف وسؤال مخيف،

وستدرك أيضًا أن نعم الله أكثر من أن تحصى، وأن الراحمين يرحمهم الله، وأن صنع الخير يَقيك من زوال النعم ومن مصارع السوء، فاللهم عاملنا برحمتك ولا تحرمنا نعمتك وارزقنا فعل الخير ونشر الفرحة، فظننا فيك حسنٌ وأملنا فيك كبيرٌ رغم تقصيرنا، نعم يا رب ... رغم تقصيرنا!

***

عن سنوات "العُمر" التي "تمُّر"!

أكثر ما يؤلمني هم هؤلاء الذين يصنعون من الخلافات "الصغيرة" مشاكل كبيرة، الذين يحرصون على "النكد" ويتعاطونه بشكل يومي! رثاء دائم للنفس واجترار مستمر للأحزان وبحث ونبش مستمر في الماضي! صراعات ومعارك لسنوات لأسباب واهية!

يا الله، للعمر قيمته يا سادة، ما مضى قد "مضى" ولن يعود ولن يفيدك البكاء عليه!!

ممارسة الشكوى والرثاء لنفسك بشكل يومي قد تجمع حولك بعض المتعاطفين والكثير من "مصمصة الشفايف" لكنها أبدًا لن تغير الواقع ولن تحسِّن المستقبل، الصراعات اليومية مع من حولك والكيد لهم وتحويل حياتهم لنكد دائم لن يفيدك لأنك في النهاية تتشارك معهم نفس الحياة الضنك وتقضي أيامك بقلب "معتَّل"!

سينقضي العمر بأسرع مما تتصور، وهؤلاء الذي شاركوك الحياة "الضنك" سيرحلون، وربما تندم ساعتها وتتمني عودتهم لتنظر في وجوههم وتطلب مغفرتهم!

أعد النظر في حياتك وقلل من المعارك "الصغيرة" والنكد الدائم، فالهموم "الكبيرة" آتية لامحالة وفقد (من نحب) وارد ولا شك، تسامح قليلًا وتجاوز عن بعض الإساءات وضع الأمور في حجمها الصحيح، غير من طريقة تعاملك مع من حولك وادفع بالتي هي أحسن وحاول أن تستمتع "بالموجود" ولا يشغلك عنه "المفقود"!

عش كل لحظة، نعم كل لحظة، اصنع الخير وانشر الفرحة واستمتع بالمباح، اقترب من خالقك وضع همومك ورغباتك وأحزانك وأحلامك بين يديه، حتى ذنوبك وعثراتك، اعترف بها واطلب العفو ثم سر متوكلًا عليه موقنًا في قدرته ورحمته، ساعيًا خلف أحلامك "المشروعة" راضيًا بقدره وحكمته!

فاللهم امنحنا بصيرة من عندك نعرف بها من يحبنا بصدق ومن يدعي ذلك، ونورًا منك ندرك به سر السعادة وحكمة الحياة وقيمة العُمر!

***

في صحبة "الطيبين"

أذهب له بغير اتصال كعادتي معه، يفتح الباب فينشرح صدري لرؤيته، وجه "مثالي" بشعره الأبيض وملامحه الهادئة وابتسامته الطبيعية المشرقة، بيته هادئ يمتلئ بالسكينة وبمجرد دخولك تشعر بالراحة النفسية!

احتضنني كعادته ومسح على رأسي "المتعب" بيده الحنون، ذهبت معه للمطبخ لنعد الشاي معًا، يسكن بمفرده منذ عرفته قبل 15 سنة، تزوج لمدة خمس سنوات فقط ورحلت زوجته التي كان يحبها بشدة، لم يرزقهما الله بأطفال، حاول أن يتزوج ولكنه في النهاية قرر ألا يفعل لأنه - كما قال - يبحث عن زوجته في كل من يقابلهم ويخشى أن يظلمهم! تعرفت عليه في إحدى الجمعيات الخيرية، ينتهي من وظيفته العادية ثم يعود للبيت ليغير ملابسه و"يتحول" لشخص آخر، بطل "أسطوري" آخر من أصدقائي الكبار غريبي الأطوار!

كل ما تبقى من يومه يقضيه في العمل مع الأيتام! يذاكر معهم دروسهم ويطعمهم بيده ويستمع لمشاكلهم الصغيرة، وعندما يكبرون فهو "أبوهم" الذي لم يعرفوا غيره، يحل مشاكلهم ويتوسط لهم للحصول على عمل ويستقبلهم في بيته

ويذهب معهم ليخطب لهم، يحضر أفراحهم ويبكي عند زفافهم، يستقبل "أحفاده" منهم ويكمل مسيرته معهم! يحبونه بشدة ويفتخرون بأنه هو من رباهم فأحسن تربيتهم!

هذا وقد اتسع قلبه الكبير لكل من حوله، فاعتاد أن يفتح بيته للجميع، أزوره من حين لآخر فيستمع لي بحب، ثم يحدثني عن أسرته الكبيرة، تنهمر دموعه القريبة عندما يتحدث عن زوجته وكيف أنه اشتاق لها فعلًا وأنه يرجو الله أن يجمعهما معًا في مستقر رحمته، تنتهي الزيارة فيودعني عند الباب بصوته الحنون وهو يضع يده على صدري طالبًا مني أن "آخد بالي من نفسي"، فأشعر أنه قد "لمس" قلبي المنهك بيده الحانية!

ابتسم وأغادر وأنا أشعر أنني قد اقتربت أكثر من "إنسانيتي" وأنني قد صرت أكثر قدرة على العطاء وأن "الكون" رغم كل الألم والحزن قد صار أكثر جمالًا وهدوءً وإنسانية، فقد كنت في صحبة "الطيبين"، ويا لها من صحبة.... يا لها من صحبة!

***

عن "الرجال" في الزمن "الصعب"!

كلهم طامعون فيكِ، يتحدثون عن حريتكِ وقضيتكِ في "بوستاتهم" العلنية وفي السريتهامسون على "جسدك" ويخطّطون لنهشك، إلا من تبقى من "الرجال" ... من يحترمك ويقدر عقلك ويغض بصره عن جسدك الممتهن في إعلانات تجارية و"كليبات" غنائية وشوارع "كرنفالية"... ليس بساذج وله رغبات كغيره ولكنه إذا أحبك تزوجك ولا يلهو بأحلامك ... ليس Open Minded بالمعايير السائدة لـ "الذكر" العصري، لا يعترف بالتساوي والتناطح والصراع ويؤمن بالتنوع والتكامل وتلاقي الأرواح ... "رجل" يملك ملامح وصوت وخشونة رجل، إذا أحبك أكرمك وأسكنك بين ضلوعه وإذا غاب الحب لا يظلمك ولا يهينك أبدًا، يحميك ويدافع عنك ويغار عليك، نعم يغار عليك وبشدة! يشعر بكِ ويرى بقلبه براءة وجهك وجمال روحك بعيدًا عن الأصباغ الملونة!

وإذا جاء الليل وتعثرت خطاكِ في الظلام وحدك واستنجدت به، سيوصلك لبيتك ويطمئن على نومك ويحرس بابك ثم يرحل في صمت غير منتظر لشكر أو ثمن! نعم هو يا سيدتي، بتأخره "المزعوم" ورجعيته "الراقية" ورجولته التي أصبحت "تهمة" يفتخر بها في زمن أشباه الرجال!

***

الرحمة حلوة

إذا كنت من الذين يتكلمون عن "عثرات" الآخرين وذنوبهم باستعلاء واندهاش "مثالي" فراجع نفسك من فضلك! ولو كنت من الذين يقولون (فلان ده إزاي يعمل كدة؟ وفلانة إزاي تصدر منها التصرفات دي؟) فكن على حذر! علمتنى الحياة ألا أعاير أحد بذنبه وألا أدعى المثالية أبدًا! فما ننتقده اليوم قد نفعله غدًا ... والخوف أن يعافيهم الله ويبتلينا جزاء التكبر عليهم أو فضحهم! وفي قصة الصحابي الذي كان يتعثر ويشرب الخمر ويقام عليه الحد عبرة للجميع، فعندما لعنه بعض الصحابة أثناء إقامة الحد، قال لهم خير من مشى على الأرض صلى الله عليه وسلم **(لَا تَلْعَنُوهُ! فَوَاللَّهِ لقد عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ! لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ، وَلَكِنْ قُولُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ)**

***

وقصة الغامدية الشهيرة، التي وقعت في الزنا ثم جاءت ليقام عليها الحد، وأصرت وعادت عندما بلغ طفلها السنتين، وأثناء إقامة الحد قام أحد الصحابة بشتمها فنهاه صاحب الخلق "العظيم" وقال **(لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ**

الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى؟!) وقام بدفنها وصلى عليها بأبي أنت وأمي حقًّا وصدقًا يا رسول الله!

***

في حياتي قابلت الكثير من المتعثرين (اللي نفسهم يمشوا صح) قلوبهم منكسرة وندمهم دائم وخوفهم عظيم، وهذا باب واسع للدخول على خالقهم، وما أدرانا؟! فالقلوب المنكسرة قريبة من الله وهو الذي يجبر كسرها ... ونار الله في المشهد الأخير ستطلع على "الأفئدة"! الخوف أنها ساعتها سترحم القلوب المتعثرة الخائفة المنكسرة وتعذب القلوب المتكبرة بالعبادة المتأففة من عثرات الغير!!

(الرحمة حلوة فعلًا) ارحموا الناس وتجاوزوا عن عثراتهم، مدوا إيديكم لهم عند تعثرهم وساعدوهم ليقفوا مرةً أخرى، (متقفلوش باب الرحمة في وش حد) ولا تنصب نفسك "إله" وتحاسب الناس! لم يطلب منك أحد أن تفعل هذا وما لهذا خلقت، (واللي بتنتقده انهاردة ومبترحمش اللي بيعمله، ممكن تلاقي نفسك بتعمله بكرة وساعتها برضو محدش حيرحمك!) الله

يغفر ويرحم ويستر، وكل هذه الرحمة التي نراها في الدنيا بين البشر والحيوانات وجميع المخلوقات مجرد جزء من مئة جزء من رحمة الله!

***

فاللهم ارحم "المتعثرين" الذين يحبونك ويحبون كل من يحبك، يبغضون معصيتك ولكنهم أحيانًا يقعون فيها ثم يندمون ويتوبون ويعودون! اللهم تجاوز عنهم واسترهم ولا تفضحهم، وفي المشهد الأخير عندما يقف الخلق جميعًا بين يديك، سيكونون هناك معترفين بكل ما فعلوا ولا يستطيعون رفع رؤوسهم من "خجل اللقاء" فاللهم اعفُ عنهم وآنس وحشتهم وأدخلهم الجنة برحمتك ... برحمتك فقط يا رب!

***

المعيشة "الضنك" والحياة "الطيبة"!

ولما تحفظت على أن أذهب معه لأحد أماكن السهر الشهيرة لوجود أمور لا أحبها هناك، عاتبني صديقي مشفقًا عليَّ لأنني أحرم نفسي من متع تجلب السعادة! ابتسمت بود حقيقي وقلت بل أنت الذي تحرم نفسك من متع أكيدة وسعادة لم تذق مثلها من قبل!!

هل جربت صلاة الفجر في المسجد وأن تسير مع السائرين في الظلام، الموعودين بالنور التام يوم القيامة؟! هل جربت الأخوة في الله وأن تحب المرء، لا تحبه إلا لله؟! هل جربت الوجوه "الصادقة" التي تتقي الله فيك بعيدًا عن "الأقنعة" والوجوه المتكلفة؟! هل جربت نعمة الزوجة الصالحة التي إن نظرت لها سرتك وإن غبت عنها حفظتك؟! هل جربت حفظ كتاب الله والحياة مع آياته وانشراح الصدر الذي لا يعادله شيء؟! هل جربت الرضا وأن يكون أمرك كله خير، في الضراء تصبر وفي السراء تشكر؟! هل جربت لذة الاقتراب من الله في السجود ومتعة الوقوف بين يديه وطرح كافة الهموم ببابه؟! هل جربت أن تنام وليس في قلبك غِلٌّ لأحد، فتنام هانئًا، وتستيقظ مُشرقًا؟!

لا تشفق عليَّ يا صديقي فأنا جربت وبحثت عن السعادة في كل الأشياء، وأعرف جيدًا معني المعيشة "الضنك" وطعم السعادة الزائفة! ووالله الذي لا إله إلا هو لن يرتاح قلبك المتعب ولن تهدأ نفسك المنهكة ولن تعرف معني السعادة الحقيقية إلا إذا عرفت الله ... فقلبك بيده وهو وحده صانع الفرحة ومانح السعادة!

ابتسمت وسلمت على صديقي وانصرفت، كان المؤذن قد نادى لصلاة الفجر بصوته العذب، وفي طريقي للمسجد شاهدتهم وهو يخرجون من بيوتهم في طريقهم للحياة "الطيبة" الحقيقية ... ومن عرف طعم الإيمان ليس كمن لم يعرف، فمن ذاق عرف ... من ذاق عرف!

***

النعم التي لا تحصى والسؤال "المخيف"!

السوبر ماركت شبه خالٍ في الصباح الباكر، كانت تقف أمام ركن الحلوى تتأمل الأشكال والألوان المبهرة ... في العاشرة من عمرها وملابسها بسيطة تدل على أنها لا تنتمي للمنطقة التي توصف بـ "الراقية"! لاحظتها ثم انشغلت في مشترياتي المتنوعة، وعلى "الكاشير" وقفت خلفي، كان كل ما تحمله "نصف كيلو لبن" من النوع الرخيص، بمجرد أن رأيت نظرتها للأشياء التي معي وتذكرت وقفتها أمام الحلوى ارتبكت تمامًا كطفل صغير وأنا أضع الأشياء أمام "الكاشير"! لم أستطع أن أنظر لها ولم أعد أتحمل نظرتها؛ لم تكن نظرة حقد أو حسد ولكنها كانت نظرة لها ألف معنى مؤلم جدًّا، قررت أن أتصرف بسرعة رغم ارتباكي، سألتها بود عن دراستها فابتسمت وأشرقت وأخبرتني أنها نجحت في الصف الرابع، كانت تتحدث ببراءة وفرحة فقد فوجئت أن هناك من لاحظها واهتم بأمرها، هنأتها على النجاح وربَّت على رأسها وأخبرتها أن لدي ابنتين في مثل عمرها ثم أحضرت إحدى قطع الحلوى الغالية وأعطيتها لها قائلًا "دي مكافأة نجاحك من واحد زي أبوكي بجد، هدية تستحقيها وإوعي تكسفيني"، ترددت فأصررت بشدة ... مدت يدها وأخذتها بحياء شديد، ابتسمت وأنهيت مشترياتي

وجلست في سيارتي أراقبها من بعيد، كانت تسير ممسكة بقطعة الحلوى و تنظر لها وهي مبتسمة وسعيدة فعلًا ... ثم اختفت لتواصل رحلتها الصعبة على هامش صفحة الحياة في مدينة لم تعد ترحم!

أشياء بسيطة تصنع فرحة كبيرة، ونعم كثيرة ومخيفة! تظنه أعطاك ومنع غيرك لأنه يحبك ويميزك!! "انت فاكر كدة فعلًا؟!" لا والله، ولكنه الاختبار المخيف والوقوف والحساب الطويل والأسئلة المرعبة بعد نهاية الرحلة ... وحتمًا ستنتهي!

ولا بد من حياة أخرى بعدها؛ يعافى فيها المبتلى ويعطى فيها المحروم ويعاقب فيها المجرم ويقتص فيها من الظالم، هناك ... حيث السعادة الأبدية والراحة الدائمة والنعيم المقيم، حيث لا تعب ولا نصب ولا حزن ... ويومها تتلاقى النفوس الطيبة والأرواح النقية مع الصديقين والصادقين والصالحين والمصلحين، وذلك هو الفوز العظيم... ذلك هو الفوز العظيم!

***

بابا وماما!

بعد انشغال تام لمدة ثلاث سنوات في تربية طفلين، جاءت الفرصة أخيرًا ليخرج الزوجان بمفردهما، جلسا في المطعم المفضل لهما، الأجواء رائعة ورومانسية وكل شيء جاهز لـ ليلة ساحرة، ولكن كانت المفاجأة أنه لا يوجد حديث والصمت دائم، كأنهما "غرباء"! بعد فترة قصيرة قال الزوج: "إيه رأيك نرجع نشوف الأولاد؟!"، فوافقت على الفور وانصرفا ليكملا مهمتهما كـ أب وأم كما اعتادا في السنوات الأخيرة!

دائمًا يعدونك أن القادم أفضل، "خلص بس المرحلة دي وبعد كدة حترتاح خالص!". في الابتدائي يعدونك بالراحة في الإعدادي، وفي الإعدادي "خلص بس تالتة إعدادي وجيب مجموع" وبعد كدة في ثانوي تعيش مراهقتك، وفي ثانوي لا داعي لقول ماذا سيحدث "عنق الزجاجة وسنة مصيرية" وحترتاح في "الجامعة"! تأتي الجامعة وتجد نفسك مطالب بالتفوق عشان تبقي معيد وتعد نفسك لسوق العمل، وخلاص الشغل أحلى مرحلة!! ربما ذهبت للجيش وربما بدأت العمل! لكن القصة لم تنتهِ والراحة لم تأتِ بعد! لا بُدَّ من الزواج، تزوج وبعدها الراحة "الأبدية"!!! نجتهد لنتزوج في انتظار اللحظة

"الفارقة"، تزوجت الآن والفرح والمعازيم، ورقصة "البطريق"! لم تنتهِ القصة بعد، لازم تنجب أطفال، "خلف بس وبعد كدة تمام وحاجي أودعك وأقولك كلمتين ومش حتشوفني تاني"! رزقك الله بالأطفال، وهنا تأتي المفاجأة الكبرى ..... "مش خلاص عندك عيال، عيش بقي عشان عيالك"!!! ..... نعم حضرتك؟! أعيش علشان عيالي؟!

من صغرك يعدك بالراحة والاستمتاع ثم الآن يطلب منك إكمال حياتك من أجل أطفالك! بمجرد الإنجاب والطفل عمره أيام، تجلس الأم حزينة وإيدها على "خدها" وعندما يسألها عن السبب تقول "حنجيب مصاريف المدارس منين، بيقولو المدارس غالية جدًا، احنا لازم منصرفش خالص ونحوش كل فلوسنا من دلوقتي عشان المدارس"!!

لسة يادوبك سعداء بمجيء الطفل والمفروض نفرح، لأ، نبدأ نشيل هم مصاريف المدرسة من دلوقتي؟!! التخطيط شيء والـ "هم" شيء آخر تمامًا....

الحقيقة الوحيدة، أن اللحظة الفارقة هي "الآن"، وكل تلك الوعود مجرد "أوهام"! وأنتما زوج وزوجة قبل أن تكونا أب وأم، أيوة "زوج وزوجة"! للحياة جودتها الغائبة في حياتنا، حتى النداء بين الزوجين هو بابا وماما، تقول لزوجها "بابا"! وأحيانًا هو أيضًا يقول لها "بابا"، مش عارف إزاي؟! وهو نداء يلخص القصة ...

الزوج يحتاج زوجة يحبها ويخرج معها بمفردهما ويفضي لها، وهي كذلك وأكثر، أما التحول لـ أب وأم فقط فهو أمر عجيب جدًّا وسبب رئيسي في مشاكل كثيرة! لا مانع من الادخار والتخطيط لكن بدون مبالغة، ما لن تفعله الآن لن تفعله لاحقًا، وإن فعلته فستكون الأجواء مختلفة تمامًا، إن لم تخرج مع أسرتك وتسافر معهم وهم صغار لن يحدث وهم كبار! أنت الآن مشغول وأطفالك يقولون لك "خليك قاعد معانا يا بابا، عايزين نخرج معاك" فتتركهم وتقول "معلش أنا مشغول جدًّا في الشغل، وكله علشانكم"، بعد سنوات ستجلس أنت في البيت وسيكبر أطفالك، وعندما تطلب منهم أن يجلسوا معك

بعض الوقت، ستنقلب الآية "معلش يا بابا مفيش وقت، انت عارف الشغل والحياة"! ما مضى لن يعود بكل أسف...

أعد النظر في حياتك، وَضَعِ الأمور في نصابها الصحيح، ولا تستعجل الهموم والأحزان فالحياة مليئة بها، أطعْ خالقك واستمتع بالمباح واصنع الخير ما استطعت، عند السراء تشكر وفي الضراء تصبر مستعينًا بالله آخذًا بالأسباب متوكلًا عليه ولا تعجز أبدًا، ودائمًا وأبدًا لا يشغلك ما "تفقده" عن الاستمتاع بما "تملكه"!

***

عن الحياة و"قصتها"!

كانت ابنتي التي على أعتاب المراهقة في حيرة من أمرها، فهي ترغب في "شنطة" صغيرة مختلفة تذهب بها إلى المدرسة، لديها حوالي سبع "شنط"! معظمها من سنوات سابقة ولكنها استخدمت مرات قليلة والآن لا تعجبها بالشكل الكافي، نادتني لتأخذ رأيي، ابتسمت وأعطيتها رأيي الذي لن يعجبها وتحدثت معها عن شكر النعم وفضل الله وانتهت "الأزمة" والحمد لله... في اليوم التالي وبعد أن قمت بتوصيلها وأختيها للمدرسة، وفي طريقي للعمل رأيت سيارة نصف نقل يجلس في صندوقها "المفتوح" العديد من طلبة المدرسة "الحكومية" التي تكافح بجوار مدرسة بناتي الخاصة في الحي الهادئ المعروف، هذه هي وسيلة المواصلات التي تحملهم للمدرسة من منطقتهم التي تقع خارج الصورة على هامش صفحة الوطن!

ثم رأيت بنت صغيرة في حوالي السابعة من عمرها ... كانت تمشي بمفردها، لا يوجد من يمسك بيدها أو يعبر بها الشارع، كانت مبتسمة وتسير وهي تنشد شيئًا ما، توقفت بسيارتي وتأملتها للحظات، يبدو أنها لا تعاني من حيرة ابنتي في اختيار الحقائب؟! لأنها كانت تضع كل الكتب والكراسات في

"كيس بلاستيك"! نعم كيس بلاستيكي متواضع يقيها شر الحيرة ومتاعب الاختيار!

غادرت المكان وأنا غارق في أفكاري، قديمًا قال العرب "وبضدها تتميز الأشياء" ... نعم صديقي، بضدها تتميز الأشياء! للحياة قصتها الطويلة وسرها الذي لا يدركه كل الناس، انظر الآن للنعم التي بين يديك وقل من قلبك "الحمد لله"، انظر لمن هو دونك وقل "الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به"، فإنما أعطاك ليختبرك، أتشكر؟ ومنع غيرك ليختبره، أيصبر؟ ورغم أن للأشياء "قيمتها" ولا شك إلا أن سر السعادة وفرحة القلب واطمئنان الضمير وراحة البال تظل أشياء لا تشترى ولا تعوض... نعم وبصدق، أشياء لا تشترى ولا تعوض!!

***

حضرتك مش هتفتكرني!

قالت بوجهها الهادئ الخجول وحجابها المحترم: "حضرتك مش حتفتكرني بس أنا فاكرة حضرتك كويس وعمري ما نسيتك"! اندهش قليلًا فهو لا يتذكرها تمامًا!

أكملت: "كنت أجلس وأنا صغيرة مع أمي التي تبيع الخضروات على ناصية المسجد الذي كنت تصلي فيه، كنت أول من أعطاني الحلوى ومسح على رأسي بحنان، وعندما رأيتني أذاكر في أول سنة لي في المدرسة، أحضرت لي أدوات مدرسية وحقيبة جديدة بدلًا من حقيبتي الممزقة وأوصيتني أكثر من مرة ألا أترك دراستي وأن أحافظ على الصلاة مهما كانت الظروف ومهما كانت الضغوط وقلت لي طالما الله موجود فلا تخافي!" ... فجأة بدأ يتذكرها، هي، هي بالتأكيد، مضى وقت طويل فعلًا!!

قالت "لقد أكملت دراستي وأنا الآن في الصف الأول الثانوي، كان هناك الكثير من الصعاب والهموم، ولكنني تمسكت بأحلامي ودائمًا ما كنت ألجأ إلى الله كما أخبرتني، وكلما ضاق الأمر تذكرت حضرتك ومسحك على رأسي

وكلماتك وتشجيعك، لم أنسك أبدًا فقد كنت أول من منحني الحنان في حياتي!".

كان المشهد مؤثرًا جدًا، دمعت عيناه وابتسم في نفس الوقت ... دمعت عيناها هي أيضًا وقالت: "لقد بحثت عن حضرتك كثيرًا وعلمت أنك قد تزوجت وتركت المنطقة، وها هو القدر يجمعني بك، أردت فقط أن أقول لك جزاك الله خيرًا، وأن أخبرك أنني لم أتوقف عن الدعاء لك أبدًا" تحدثا لبعض الوقت ثم ودعها وانصرف وهو خارج "الزمان والمكان"!

صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وبعض كلمات طيبة وعطاءات بسيطة لها أثر كبير! لا تحقرن من المعروف شيئًا يا صديقي، دعوة بسيطة من قلب طيب كنت السبب في سعادته قد تكون سبب سعادتك في الدنيا والآخرة ... انشر الخير واصنع الفرحة وازرع السعادة ولن يضيعك الله، لا والله لن يضيعك.

***

وبضدها تتميز الأشياء!

عادت الأم بعد نهار طويل، الصغيرة ذات الأربع سنوات احتضنت أمها بشوق ولهفة، كانت جالسة في رعاية أختها الكبرى ذات السبع سنوات! حضور الأم يعني "الفرحة" الكاملة! يعني الطعام والأحضان والأمان ورائحة "الأم" التي لا تنسى! رحل الأب للقاء خالقه بعد رحلته المكافحة على هامش الحياة، عامل بسيط كادح منذ نعومة أظافره، ساعد أسرته وزوج أخوته البنات، ثم تزوج وأنجب، مرض بشدة ولم يعرف ماذا يفعل، أيطعم أطفاله أم يحصل على العلاج في بلاد لا تعترف بوجوده أصلًا! ولأنه يصلي منذ صغره كما علمه والده في بلدته الصغيرة في صعيد مصر، فقد نظر لأطفاله وزوجته نظرة مشفقة في ليلة من الليالي وسجد وبكى ودعا ربه أن يعود إلى جواره إن كان خيرًا له! لأنه لا يحتمل أن يؤلم من حوله، وما هي إلا أيام قليلة إلا وعادت الروح المنهكة إلى خالقها، فرحل بهدوء كما جاء بهدوء ...

الأم تفتح "الكيس البلاستيك" لتخرج مفاجأتها الكبرى وبضاعتها "الثمينة" لطفلتها الصغيرة، فستان يناسبها تمامًا، الطفلة

تكاد تطير من السعادة فقد مر وقت طويل ولم تحصل على أي ملابس، ترتدي الطفلة الفستان وتجري به في الحجرة الوحيدة التي تؤويهم في بدروم إحدى العمارات الواقعة في أحد أفقر المناطق في الوطن، الأم تبيع الخضروات في إحدى الأسواق القريبة، والفستان "المستعمل" هدية من إحدى السيدات التي تشتري منها وكثيرًا ما تتكلم معها عن بناتها وأحلامها لهم! لا تدرك الصغيرة الفرق بين الجديد والمستعمل، هي تدرك فقط أن أمها تحبها وتحضر لها كل ما تستطيع ... والأم تستكمل الرحلة رغم مضايقات أشباه "الرجال" ورغم صعوبة الحياة ورغم قسوة الوحدة في الليل الطويل، والسعادة والفرحة موجودة في حياتهم "البسيطة" وعناية الله تحيط بهم، تقول لي إنها تكاد ترى "زوجها" المكافح الصابر صاحب الوجه الطيب ينظر لها وهو يبتسم! وأنا أصدقها تمامًا ... فالطيبون للطيبات ولا شك!

ولا أنسى ما حييت، تلك الفتاة التي حدثتني أنها كان يتم تكريمها وهي صغيرة في المسجد في منطقتهم الفقيرة لتفوقها وحفظها للقرآن، فكان أكثر ما يحرجها في التكريم أنها لا بد

أن تخلع حذائها في المسجد، وكان جوربها "شرابها" مقطوع دائمًا وتضطر أن تستخدمه لفترات طويلة ولا تملك رفاهية تغييره!

نعم الله لا تُحصى وفضله واسع، والكل يخوض الاختبار الصعب! أتظنه أعطاك ومنع غيرك لأنه يحبك؟! لا والله، إنما هو الاختبار والابتلاء والسؤال الطويل المرعب ... اصنع الفرحة وابذل الخير وأنفق مما جعلك الله مستخلفًا فيه، فصنائع المعروف تقي مصارع السوء، ولعل دعوة مخلصة من قلب طيب موصول بخالقه تصنع "فرحتك" الغائبة وتفرج همك المؤلم وتكون سببًا في نجاتك في الدنيا والآخرة ... سلام على الطيبين المكافحين القابضين على "الجمر" في الزمن الصعب!

***

السوق الحرة!

تسير في مطار الدولة العربية، تدفع العربة المحملة بالحقائب بصعوبة لأنها تحمل طفلتها الرضيعة في اليد الأخرى، أقف مع أصدقائي ننظر لبعضنا باهتمام وأتحرك بتلقائية وأذهب لها وبدون استئذان أدفع العربة، تسير خلفي بصمت حتى نصل إلى الموظف المسئول، أتركها وأنسحب سريعًا عائدًا إلى أصدقائي بدون أن أنظر لها!

ننتهي من الإجراءات ثم ندخل للسوق "الحرة"! وهي من الأشياء "الحرة" القليلة في أوطاننا! يعرضون بعض المنتجات المعروفة ويصحب العرض مجموعة من الفتيات "المصبوغة" ببعض قطع الملابس "القليلة"! قلبي يؤلمني فعلًا! نالت المرأة "حريتها" المزعومة!! فأصبحت سلعة "مكشوفة" في سوق "حر"! يحوم الذكور حول "المنتجات" المعروضة وعيونهم معلقة بالعرائس "الملونة" في مشهد بدائي متخلف مصبوغ بنكهة حضارية "زائفة"!

ينشغل أصدقائي بشراء الهدايا لأسرهم وأجلس بمفردي "كعادتي" أتأمل الحياة وأفهم قصصها، تمر من أمامي السيدة التي كانت تدفع العربة، تشير لي برأسها شاكرة فأهز رأسي ممتنًا، لنا تاريخ طويل وقصة تستحق أن تروى في الكرم والشهامة والعفاف! نحن أبناء حضارة أمرنا فيها بألا نخن من خاننا! فكيف بمن ائتمننا؟! كيف بمن ائتمننا؟!!!

***

عن "الجسد" الذي ينمو و"العقل" الذي توقف و"القلب" الذي يتسع للعالم بأسره!

أذهب إلى المكتبة في الصباح الباكر على غير عادتي لتصوير بعض الأوراق، الزحام شديد والأهالي يقومون بتوصيل أولادهم والكل متوتر، لا أحب أجواء المدارس في الصباح حيث الاستيقاظ الصعب والصوت العالي والوجوه العابسة، وفجأة ظهرت! ... على أعتاب المراهقة بملابس المدرسة، تسير بصعوبة بصحبة سائق "الميكروباص" الذي يقوم بتوصيلها، تقف بجواري بحجابها البسيط ووجهها المشرق ويذهب ليحضر لها بعض الحلوى، تمد يدها الصغيرة لتختار نوعًا آخر من الحلوى، يخبرها السائق أن المطلوب ثلاثة جنيهات فتعطيه ببساطة كل ما في يدها من نقود معدنية، يعيد لها الباقي، تنظر ببراءة وهي تبتسم، تدرك بسهولة أنها قد حرمت بعض نعمة "العقل" ... تلتقي أعيننا للحظات فأشاهد "طيبة" الدنيا في ملامحها! كان وجودها "رائع" حيث تغيرت الأجواء وصار الكون أكثر جمالًا وهدوءً ... تسير بصعوبة عائدة إلى "الميكروباص" وهي تحتضن أشياءها و "فطرتها" ... البائع ينادي عليَّ حتى أستلم أوراقي، أعود لسيارتي وصورتها لا تفارق خيالي ... وما زلت أتساءل؟

لماذا عندما "يتوقف" العقل "ينمو" القلب ويتسع للعالم بأسره؟! ووجدتني أزداد يقيناً بأنه لا بُدَّ من حياة أخرى تتحقق فيها الأحلام "المؤجلة" ويشفى فيها المريض ويسعد فيها المهموم ويعافى فيها "المبتلى" ... وأن البراءة والفطرة "النقية" والصدق والطيبة هي أشياء غالية جدًّا ولا تقدر بثمن ... سلامٌ عليكِ يا ابنتي وحفظكِ الله من كل سوء ... سلامٌ عليكِ!

***

بيوت تسكنها الملائكة!

دعاني بإصرار لعقيقة ابنته، أحب هذا الشاب الصغير المتدين "المؤدب" ولا أستطيع الرفض، صلينا المغرب وصعدنا إلى بيته الواقع على هامش صفحة "الوطن" ... بمجرد دخولك للمنزل تستشعر وجود "الملائكة"! ورغم بساطة الأثاث والمساحات الضيقة إلا أن مساحات "السعادة" تكفي وتفيض ... جلسنا على الأرض نأكل ونتحدث ونضحك من قلوبنا ... شعرت براحة حقيقية لم أشعرها منذ وقت طويل، كانت زوجته تجتهد في إكرام الضيوف وتصنع من "المستحيل" أشياء رائعة ...!

أعرفه منذ مدة، شاب نشأ في طاعة الله، يحب الله ويخافه، إمكانياته قليلة لكن أحلامه "طيبة"، رجل حقيقي في زمن "صعب" ... عندما فكر في الزواج اختار من "تشبهه" فتفجرت كل مشاعرهما "المؤجلة" واجتمعت الأنصاف "المفقودة" فأثمرت سكينة ومودة ورحمة "ما شاء الله" ...!

ودعته وانصرفت وأنا غارق في أفكاري ... للسعادة أهلها فعلًا! فكم أعرف من البيوت الواسعة المليئة بأفخم أنواع الأثاث ولكنها مغلقة على "التعاسة" والهم وأصحابها على

استعداد للتضحية بكل ما يملكون في سبيل لحظات من السعادة "الحقيقية"!

فاللهم بارك لهم وحقق لهم كل أحلامهم الجميلة، وارزقنا بصيرة من عندك نميز بها بين من يحبنا فعلًا ويرغب في الخير لنا وبين من يدعي ذلك، وامنحنا رحمة من لدنك ندرك بها سر السعادة وقيمة العمر وطعم الراحة واطمئنان الضمير، فرغم أن للأشياء قيمتها إلا أنه ستظل دائمًا وأبدًا هناك أشياء "لا تُشترى" ... نعم يا صديقي، أشياء "لا تُشترى"!!

***

وما زالت الأحلام "ممكنة" ما دامت النفوس "مؤمنة"!

ذهب لزيارة شيخه الذي قام بتحفيظه القرآن عند صلاة العشاء حسب الموعد المحدد، يسكن في منطقة بسيطة تقع على هامش صفحة "الوطن"! جلسا معًا وتبادلا الأحاديث، وقبل أن ينصرف طلب منه الشيخ الانتظار عشر دقائق لحضور عقد زواج تم تأجيله أكثر من مرة لعجز في الأموال!

أشار الشيخ للعريس فوجده رجلًا في حوالي الخامسة والأربعين من عمره! يرتدي بدلة بسيطة، يسير وهو "يعرج" ويتبادل الابتسام مع الجميع ووجهه مشرق بفرحة تحقق الأحلام ويا لها من فرحة، سنوات طويلة من الانتظار في طابور "البسطاء" ليحقق حلمه أخيرًا في الزواج! وماذا عن "العروسة"؟ قال الشيخ أنها أصغر منه وفتاة طيبة ومؤدبة ولكنها قد حرمت بعض نعمة العقل!

حكى الشيخ عن تعاطف أهل المنطقة "الطيبين" مع العروسين وكيف أنهم ساعدوهم وهم لا يملكون أصلًا إلا أقل القليل، الجميع تكاتف لإكمال الزواج وصنع "الفرحة"، جمعوا 200 جنيه وأعطوهم "للعروسة" لكي تشتري "جلابيتين"

فكادت تطير من الفرحة وتشكرهم بشدة وكأنها قد حصلت على الدنيا وما فيها ...!

بدأت مراسم الزواج، كل أهل المنطقة هنا، يضحكون من قلوبهم ويتشاركون "خبز" السعادة النادر! وبعد أن أنهى "المأذون" مراسمه وقام بالدعاء للعروسين أن يبارك الله لهما وعليهما وأن يجمع بينهما في خير، قام البعض بتوزيع "البونبون" والكل يتسابق للحصول على نصيبه، وعندما جاء دوره فوجئ به من النوع "المتواضع" الذي يباع في الأكشاك "العشر قطع بنصف حنيه"!

الآن أصبحتما زوجًا وزوجة تتشاركان المودة والرحمة والسكن، ما زال الوقت لم يتأخر وها قد مر بكما قطار الفرحة وتحققت الأحلام "المؤجلة" واجتمعت الأنصاف المفقودة!

انصرف عائدًا إلى بيته وهو متأثر بالمشهد، الأجواء رائعة وهادئة ومريحة للنفس، وكأن الملائكة تملأ المكان وتحف العروسين بأجنحتها ... كان كل شيء في منتهي البساطة، حتى سعر "العملات" هناك مختلف! فبعض مبالغ بسيطة تصنع

فرحة كبيرة! أرقام قد ننفقها في ساعة أو أقل تصنع فرحة "سنوات" وتحقق الكثير من الأحلام "المؤجلة"! وكم من بيوت "فاخرة" مغلقة على التعاسة والشقاء، وكم من شخص يعرفه على استعداد لأن ينفق كل ما يملك مقابل لحظة سعادة "صادقة" أو فرحة حقيقية أو ضحكة من القلب أو شريك حياة "يسكن" إليه!

للبسطاء أحلامهم وللعطاء أهله وللفرحة صانعوها، دمتم تألفون وتؤلفون، تصنعون الفرحة وتشاهدون آثار رحمة الله في الأرض، تعرفون سر السعادة... وتدركون قيمة العمر!

***

عن الذين يذهبون ولا "يعودون"!

ولما أحس أن النهاية قد أوشكت، أمسك يدي بيده المرتعشة ونظر لي نظرة لا تنسى وقال (أنا مؤمن بالقضاء وعارف إن الموت حق بس أنا فعلًا مش مُستعد للقاء الله دلوقتي وخايف جدًّا!) ... ومن منا مُستعد يا صديقي؟! ثم رحل .....

وبعد أن وارياه التراب ونزل "بمفرده" وقفت أدعو له ... وتساءلت، كيف هو الموت يا صديقي؟ وكيف هي أول ليلة في القبر؟ كنت تحب الله ورسوله وترغب في الخير وتكره الشر .... فلعلنا نلتقي في المشهد "الأخير"! سأكون هناك، أسير وحدي حاملًا كل أخطائي ومعترفًا بها، وسيكون هناك الكثير من الصالحين الذي استعدوا وسبقوا، سيبحثون عن خير من مشي على الأرض ليشربوا من يده، أما أنا فسأحاول أن ألحق بهم رغم "التعثر"، وسأكون في قمة "نجلي" أنظر من بعيد ..... فأنا أحببت الله ورسوله وحاولت كثيرًا ولكنني ـ بصدق ـ كنت أتمنى أن أكون أفضل من ذلك!

ما زالت الحياة فرصة "رائعة" وكل دقيقة فيها لها ثمن ـ لو تعلمون ـ عظيم، وما زال "الموت" أفضل ما يدفعنا لفعل الخير وترك الشر وصنع الفرحة والاستعداد للقاء الأخير ... وما زالت الأحلام "ممكنة" ما دامت النفوس "مؤمنة"!

***

"العابرين" سريعا إلى أوطانهم الأصلية!

ولأنه أحد "صانعي الفرحة" فلم يكن غريبًا أن يدعوني في إحدى زياراته المفاجئة المعتادة كلما شعر أنني أعاني من بعض الهموم!

ذهب هذه المرة بسيارته المحملة بالأدوات المكتبية إلى أحد أكثر المناطق فقرًا، يعرفها جيدًا وأهلها يحفظون شكله ولا يعرفون اسمه! يدق الأبواب فما إن يروه حتى ينقلب البيت إلى احتفال كبير! يخرج الأدوات المكتبية المتنوعة "كراسات، أقلام، شنط، ألوان، ..." ويعطيها للأطفال في أيديهم "الصغيرة" فتُشرق وجوههم ويمسكون بها بفرحة شديدة رغم بساطة الأدوات، ثم يشكرونه فيخجل بشدة "كعادته" ويحمر وجهه الطيب وينصرف وأهل البيت يودعونه بالدعاء الفطري (ربنا يخليلك ولادك، ربنا لا يحوجك لحد، ربنا يستر طريقك ...).

استمرت رحلتنا وعندما قاربنا على النهاية جاءت إحدى البنات الصغيرات التي حصلت على نصيبها وهي تمسك في يدها طفلة في مثل سنها ترتدي ملابس بسيطة وتنظر إلى الأرض بحياء، نادت على صديقي قائلة "يا عمو دي صاحبتي،

هي ساكنة بعيد شوية بس أنا روحتلها وجبتها عشان هي نفسها في أدوات جديدة السنة دي"، نزل صديقي على ركبتيه واحتضن الطفلة، ورأيت الدموع في عينيه، ذهب إلى سيارته بصحبتها وطلب منها أن تختار ما تريد ...!

انتهت المهمة "الرائعة" ولِلحظات بدت المنطقة "الفقيرة" أكثر جمالًا، كان الشارع هادئًا والسماء صافية ونظرت لصديقي ... شخص عادي جدًا قد تراه في أي مكان ولا تهتم لوجوده! ملابسه عادية وكذلك سيارته، لكن عندما يأتي الليل يتحول "لبطل أسطوري"! اختصه الله بفضله وأعطاه جزءً من رحمته وعلمه سر السعادة الغائبة ... أظنه من "العابرين" سريعًا في الأرض فهي ليست موطنه، وعند انتهاء رحلته "القصيرة" سيستقبله أهل السماء بشوق وفرحة، فهذا هو موعد الاحتفال بعودة النفوس الطيبة إلى وطنها "الأصلي"، هناك، حيث السعادة الدائمة والنعيم المقيم، هناك، حيث لا تعب ولا خوف ولا هم ولا حزن بعد اليوم!

***

بدلة كاملة!

جلس بجانبي في الطائرة، سلم عليَّ بحنان أبوي، يرتدي "بدلة" كاملة بسيطة، أغلب الطائرة من العائدين من العمرة وليس من عادة المعتمرين ارتداء بدلة! معه أخته وزوجها.

لاحظت أن أخته تحمل حقيبته وتطمئن عليه كما لو كان ابنها رغم أنه يكبرها في السن! تحدث معي ففهمت الوضع، هو رجل كبير بعقل و"قلب" طفل! يفهمك جيدًا ويستطيع أن يشرح وجهة نظره نوعًا ما، ارتحت له تمامًا بوجهه "الطيب" وملامحه ونظرته البريئة تمامًا، سألني عن أسرتي وحياتي ودعا بحرارة لي ولبناتي وزوجتي "وهو لا يعرفهم" فأسعد قلبي فعلًا، ثم نظر لي بوجه واضح وقال "إنت شكلك طيب، وأنا عايز أسألك عن حاجة، هو أنا مش بقدر أحفظ أدعية وأذكار زي بقيت الناس .. بس لما بسافر أو أخرج من بيتي بقول توكلت عليك يا رب، ولما أرجع بالسلامة بقول الحمد لله، وساعات بقرأ الفاتحة، هو كدة صح ولا غلط؟!" سكت تمامًا وتأثرت بكلماته ولم أستطع التحدث للحظات، كان يتحدث بصدق وعفوية وبراءة مدهشة و"مفتقدة" ... ابتسمت وقلت:

"لا عليك يا حاج فأنت تتوكل على الله عند الخروج وتحمده عند العودة، والأجمل يا سيدي هو أن كلماتك "حية" وتوكلك حقيقي وشكرك صادق مثلك ...!"، نظر لي بعينين "ممتنة" وشكرني وهو يبتسم ويهز رأسه.

انتهت الرحلة فودعني بحرارة وكأنه يعرفني منذ سنوات، تركته بقلب منشرح وتساءلت، لماذا يفقد البعض براءته وصدقه كلما نضج عقله؟ ولماذا عندما يتوقف العقل ينمو "القلب" ويصبح الإنسان أكثر روعة وأقل تكلفًا؟!

فاللهم امنحنا قلوبًا نقية ونفوسًا تقية وصدقًا دائمًا، وبصيرة من عندك نعرف بها من يحبنا بصدق ويرغب لنا في الخير ويستحق مشاعرنا، ومن يبغضنا ويخدعنا ويتمني لنا الشر ويعبث بأحلامنا، ولا تحرمنا أبدًا من صحبة الطيبين "الواضحين" ودعائهم المستجاب ... لا تحرمنا أبدًا!

***

صلاة مودع!

هذا وبعد أن صلى الفجر، بدأ يومه مبتسمًا في وجه كل من يقابله ... سيكون "اليوم" هو آخر يوم في حياته!!

طلب العفو ممن يعرفهم وعفا عمن ظلمه، أخبر من بقربه ـ بعد أن نظر في عيونهم الطيبة ـ أنه "يحبهم" فعلًا ولا يستطيع الحياة بدونهم... تصدق ببعض ماله، اتصل بأقاربه وسأل عنهم ففرحوا جميعًا بمكالمته، استمع إلى صديقه المهموم وشاركه آلامه، اجتهد في عمله وساعد الجميع ونشر البهجة والفرحة، دخل إلى المسجد وصلى "صلاة" مودع ودعا كثيرًا في سجوده ... تذكر ذنوبه وندم عليها وعزم ألا يعود إليها ... تذكر "نعم" الله عليه وستره فاستحى وحمد الله كثيرًا، ثم دخل إلى سريره وليس في صدره "غل" أو كره لأحد ... ابتسم وأغمض عينيه في انتظار "النهاية"!

هذا وقد استيقظ في اليوم التالي ... ليصلى الفجر ويبتسم وينشر الخير ويصنع الفرحة ويجتهد ويصلى صلاة "مودع" متوقعًا ـ كعادته ـ أن يكون اليوم هو آخر يوم في حياته!! ما زال العمر نعمة كبيرة و"فرصة" رائعة لعمل الخير والاستعداد للقاء "الأخير".

***

اعترافات ليلية!

أعرف يا ربي أنه لن يستوي من "والاك" مع من "عاداك"، ظني أنني لست من "الأعداء" لكنني لم أتمكن أبدًا أن أكون من "الأولياء"! أين أنا يا رب؟! منتظر على الأعراف؟!! أشاهد الصالحين يذهبون للجنة ولرؤية وجهك الكريم الذي طالما اشتاقوا له، والظالمين يساق بهم إلى النار ويحجبون عنك ويا لها من حسرة!! ما هو مصيري يا رب؟! عزائي الوحيد هو أنني أحبك وأحب كل "من" يحبك، وأنني أسير إليك "بتعثر" ... ودائمًا ما أتساءل وحدي هل ستعذب قلبًا "مذنبًا" أحبك؟! ظني أنك لن تفعل ... ظني أنك لن تفعل يا رب!

***

اللقاء "الثاني" والقصص التي لم "تكتمل"!

كتب وهو "ينزف" ... رأيتها اليوم بشكل مفاجئ، هي بالتأكيد؟! استيقظت فجأة كل المشاعر التي كنت أظنها قد ماتت، عرفتني رغم شكلي الذي غيرته السنين ونظارتي التي تخفي مشاعري! انفصلت عن الزمان والمكان للحظات وعاد بي العمر سنوات "جميلة" وبريئة للوراء، سألتني عن أهلي وعن حياتي وعن زوجتي وأطفالي ... كان قلبي يدق بشدة وأنفاسي متسارعة ويدي ترتعش بشكل لا إرادي! مضى بعض الوقت وفجأة رن هاتفي وظهرت صورة أطفالي لتدلني على أن المتصل هو "أسرتي" الصغيرة! عدت إلى أرض الواقع، استأذنت منها وودعتها وانصرفت ... وبعد عدة خطوات نظرت ورائي فوجدتها ما زالت "واقفة" كما تركتها تمامًا وهي تنظر لي نظرتها "التي لا تنسى"!

ارتديت نظارتي وأغلقت معطفي وانصرفت وأنا شبه غائب عن الوعي! عدت إلى المنزل وما إن وضعت المفتاح في الباب حتى أتى أطفالي إلى الباب وهم يهتفون "بابا جِه" كعادتهم، يحتضنون أقدامي وكل واحد منهم يحكي قصة مختلفة عن يومه

ليطلعني على تفاصيل حياتهم الصغيرة والبريئة ... جلست ألتقط أنفاسي فصعدوا فوقي يعبثون بشعري أو ينامون في حضني ... كانت صورتها "تتلاشى" في خيالي كلما احتضنت أطفالي ... كانت ذكريات جميلة وبريئة، ولكن كم يحمل القلب "المنهك" من الذكريات والاعترافات والبوح والآلام التي لن يعرفها غيري و"سيدفن" أغلبها معي؟! وكم من الأشخاص تمنيناهم وحلمنا بهم ودعونا الله أن يجمعنا بهم ولكن الخالق لم يردهم لنا؟! وما أدرانا؟ فلعلنا كنا قد "شقينا" بهم أو "شقوا" هم بنا؟!

***

نعمة "العطاء" وفرحة البسطاء!

أدخل إلى محل "الألبان" الشهير، أختار الأصناف التي أريدها سريعًا كعادتي، أذهب إلى الثلاجة فلا أتذكر هل طلب مني الأطفال "رز بلبن" أم "مهلبية"؟ أحسم قراري وأحضر علبة من كل نوع بعدد الأطفال لأتجنب الصراعات، ألاحظ طفلة صغيرة بملابس بسيطة تقف أمام الثلاجة ... أنشغل بمشتريات أخرى وأعود لأجدها واقفة كما هي! ظننتها لا تستطيع فتحها فذهبت لأساعدها، سألتني ببراءة: "هي العلبة بكام يا عمو؟!"، لأول مرة ألاحظ أنني لا أعرف سعرها رغم أنني أشتريها كثيرًا! نظرت للرف ووجدت السعر مكتوبًا عليه "اتنين جنيه ونص"، أخبرتها فنظرت في قبضة يدها وسكتت!! سألتها: "هل أحضرها لكِ؟". قالت: "لا"، وابتسمت بخجل وشكرتني! نظرت لقبضة يدها وفهمت الموقف، كانت تقبض على " نصف جنيه" فقط بأصابعها الصغيرة! فكرت لثواني وذهبت للبائع الذي يعرفني وشرحت له الموقف وطلبت منه أن يأخذ منها ما معها ويعطيها العلبة بدون أن يحرجها وسأدفع له الفرق، تأثر ورفض تمامًا أن يأخذ مني أو منها وأعطاها

العلبة، كانت الصغيرة تحتضن العلبة بسعادة ورضا ووجهها مشرق تمامًا وهي تغادر المحل! أنهيت مشترياتي وصورتها لا تفارق خيالي!

مبالغ بسيطة تحقق أحلام "صغيرة" وتصنع فرحة "كبيرة"! تظن أنهم يحتاجونك؟! صدقني لا، أنت الذي تحتاجهم، فما أعطاك الله ومنع غيرك لأنه يفضلك، ولكنه البلاء والاختبار في رحلة الحياة "القصيرة" ثم السؤال بين يديه في المشهد الأخير المفزع، اللهم إنني أعترف الآن أنني خائف من الوقوف بين يديك والسؤال عن نعمك التي لا تحصى، ولا أدري فعلا كيف سأرد؟! ولا عزاء لي إلا أنني حاولت وما زلت أحاول ... ولكنني "وبصدق" خائف ... خائف جدًّا!

***

ولا بُدَّ من حياة أخرى!

كنت كعادتي أسير في إحدى المناطق الواقعة على هامش صفحة الوطن أتأمل الحياة والبشر وحياتهم البسيطة وفطرتهم السليمة التي أفتقدها في كثير من الأحيان في منطقتي (الراقية)، ورأيتها... فتاة صغيرة تبيع الحلوى أمام منزلها، عندما اقتربت منها للشراء وجدتها أكبر سنًّا مما تخيلت ولكنها كانت قصيرة للغاية وفهمت الأمر سريعًا! إنها ممن يطلقون عليهم "الأقزام"، كانت مبتسمة جدًّا وتعاملها مهذب للغاية وقبل أن أنصرف ظهر والدها... وكان أيضًا من قصار القامة، ألقى السلام ثم تحدث إليها بود ومحبة وانصرف... وانصرفت أنا أيضًا... وفي طريقي لم تفارق صورتهم خيالي وتساؤلات عديدة تملأ رأسي المتعب...الأب إنسان مثله مثل أي إنسان يرغب في الزواج والإنجاب ولكن معلوم طبيًّا أن احتمال تكرار الأمر مع الأولاد وارد بشكل كبير ولكنه تزوج وأنجب وجاءت الفتاة تعاني من نفس المشكلة، سألت نفسي ماذا كنت سأفعل لو كنت مكانه... من السهل جدًّا أن تنتقد تصرفات الآخرين ولكن من الصعب أن تتوقع رد فعلك إذا كنت مكانه ... أيضًا استوقفتني نظرة الرضا والابتسامة التي تتمتع بها الفتاة ووالدها رغم البلاء وقسوة نظرات البشر في كثير من الأحيان!

إن الرضا بقضاء الله هو أسهل الطرق للحصول على السعادة في هذه الحياة... والسخط والاعتراض لن يغير الواقع ولن يجلب لنا سوى الشقاء الدائم... بعد التفكير قلت الحمد لله ... الحمد لك يا رب أن منحتنا العديد من الأشياء الجميلة وأن منحتنا الحياة وأن أعطيتني القدرة على الفهم وأن علمتني أن أرضى بقضائك ... وأيضًا وجدتني أزداد يقينًا بأنه لا بد من حياة أخرى بعد رحلتنا القصيرة في حياتنا الدنيا...

حياة أخرى، يشفى فيها المريض ويسعد فيها المبتلى ويحاسب فيها الظالم ويُقتص فيها للمظلوم، وأن الدنيا ليست دار جزاء وليست نهاية المطاف... إنما هي فعلًا دار للبلاء، وأن الصحة والمال والجمال والوسامة والعقل وغيرها من نعم الله ليست دليلًا على محبة الله أو سخطه، إنما هي أشياء منحنا الله إياها ليسألنا عنها سؤالًا طويلًا ومخيفًا يوم اللقاء الأخير، فهل سنتكبر بعد اليوم بما منحنا الله من عقل أو صحة أو جمال أو مال؟! وهل سنتعلم أن من أعطى قادر على أن يأخذ... قادرٌ على أن يأخذ!!

***

عن الجسد الذي "وهن" والقلب الذي ما زال "ينبض"!

ما زال يدهشني مشهد الزوج والزوجة بعد أن كبر السن! يسيران معًا يمسك بيدها وقد وهن العظم واشتعل الرأس بكل حب وود ... رأيتهم كثيرًا على هامش رحلات العمرة والحج ... ذهب الشباب والجمال والجسد الممشوق وبقي الحب والمودة والرحمة، وهي أشياء لا تشترى! تستند عليه ويستند عليها وتنطق أعينهما بحب ما زال مستمراً ومتوهجًا رغم مرور السنوات!

تمضي رحلة الحياة ويمضي العمر بنا وما زلنا نتعلم ... لكل شيء ثمنه ولكل مرحلة روعتها ويبقى الحب والود والرحمة أشياء رائعة يزرعها الله في قلوب عباده ... طعمها رائع ونكهتها دائمة ... يضعف الجسد ويذهب الشباب وينحني الظهر ويبقى القلب حيًّا شابًّا ينبض ويود ويرحم! ثم تأتي النهاية فيبكي شريك عمره ويظل يذكره ويتنسم ذكراه في كل الأماكن استعدادًا للحاق به عند "رب" كثيرًا ما اجتمعا على طاعته!

الحياة قصيرة فعلًا ولا تستحق الصراع "الكبير" من أجل الأشياء "الصغيرة" ... المشاكل الكبيرة والهموم والآلام قادمة

ولا محالة، فلماذا نضيع العمر "الغالي" في الهموم الصغيرة والمشاكل التافهة؟! يجتمع الزوجان على المودة والرحمة، فإذا غابت "المودة" والحب بقيت "الرحمة"، ولكن إذا غابت الرحمة أيضًا فماذا يتبقى؟!

فاللهم اجمعنا ومن نحب في مستقر رحمتك ... وامنحنا برحمتك فهمًا عنك ونورًا نميز به بين من يحبنا فعلًا ويستحق مشاعرنا وبين من يدعي حبنا ويضيع أعمارنا ... اللهم آمين... اللهم آمين.

***

أوجاع الروح!

تقف بجانب "الكانتين" في المدرسة الحكومية! الأطفال يشترون الحلوى والزحام شديد، ليس معها أي نقود، وهي لا تعرف السبب تحديدًا! تعودت الصغيرة ذات الخمس سنوات أن تخرج بلا إفطار وأن تذهب للمدرسة بلا نقود، أبوها لا يهتم بذهابها للمدرسة أصلًا فهي "بنت" ولا داعي لأن تتعلم، وأمها حاربت لإدخالها للمدرسة وهو أقصى ما تستطيع، ملابسها قديمة وممزقة، باختصار تعيش على "الهامش" ولا مكان لها في صفحة "الوطن"!

تحكي لي إحدى المدرسات أن الطلاب الفقراء في المدارس الحكومية يتعرضون للإغماء في طابور الصباح بسبب "الجوع"! وكثير منهم بلا مصروف!

هناك على هامش صفحة الحياة من يحلم بـ "جنيه" واحد فقط يمنحه الفرصة ليعيش "فرحة" الوقوف مع الأطفال والشراء في زحام "الكانتين" المدرسي، علم أطفالك شكر "النعم" حتى تحافظ عليها وعليهم، وعلمهم "العطاء" فالحياة متقلبة ولا شك، وعلمهم أن هناك نهاية لكل ما نحن فيه الآن مهما طال

الزمن وهناك مشهد أخير ووقوف وسؤال "طويل" ومخيف ... مخيف فعلًا! دمتم تدركون قيمة النعم ومتعة "العطاء"، تسارعون في الخير و"تصنعون" فرحة البسطاء ...

***

أن يحبك الله

"هو فيه أروع من كدة؟!" قالها وهو ينظر بوجهه "المشرق" بعد أن صلينا الفجر وجلسنا نذكر الله في المسجد حتى شروق الشمس ثم خرجنا نتمشى معًا كعادتنا! كنا في منتهى السعادة فعلًا! مفيش أروع من كدة يا صديقي! وهل هناك أروع من أن تعرف الله وتقترب منه بعد طول ابتعاد، أن تعرف طريق المسجد والصحبة الصالحة التي تحبك فقط في الله! أن تتغير الدنيا بالكامل وتشعر بالحياة "الطيبة" بعد سنوات من المعيشة "الضنك"! أن تراقب الله في السر والعلن، أن تجاهد نفسك وتطلب من الله الإعانة "فيعينك" ... أن تتعثر ثم تعود مرةً أخرى بقلب منكسر ورجاء لا يخيب فيأخذ بيدك "المرتعشة" مرةً أخرى! أن يحبك الله ... أتدري ماذا يعني أن يحبك الله؟! يعني أن تتسق الأشياء وتكتمل "الفرحة" وذلك هو الفوز العظيم، أن يوضع لك "الحب" في كل مكان ... فتحبك الأرض التي تسير عليها ويراقبك أهل السماء ويدعون ويستغفرون لك! أن تنام وأنت هادئ النفس مطمئن القلب مرتاح الضمير ...

وحتى عند البلاء والألم والفقد فأمرك كله خير، تجمع كل الأشياء "الحزينة" وتضعها عند بابه سبحانه وتعالى، تشكو همك

و"بثك" وحزنك وضعفك لهُ، وتسجد وتنساب دموعك وأنت واثق بقربه وبرحمته! تلك أشياء رائعة فعلًا يا صديقي ... مرت السنوات وكبرنا وفي كل يوم تقترب الرحلة من النهاية، حققنا الكثير من النجاحات في الدنيا وامتلكنا "الأشياء" التي حلمنا بها، ولكنني "وبصدق" أفتقد تلك الأيام وأفتقد ذلك الشاب الصغير وقلبه "البريء" وتلك اللحظات الرائعة التي لا تنسى! فاللهم ردنا إليك ردًّا جميلًا ... ردًّا جميلًا يا رب!

***

تظنه لا يشعر بك؟!

ويسألني عن "السعادة" ومتى ستمر ببابه؟! أبتسم كعادتي وأقول: علمتني رحلة الحياة أنها قصيرة، أقصر بكثير مما نتخيل، وستمر سنوات العمر بأسرع مما نتوقع ... وليس معي سر السعادة بالتأكيد، ولكنني بحثت عنها كثيرًا، في كل الأشياء "تقريبًا"، وما وجدتها إلا في القرب من الله! وما زلت أتعجب "بصدق" كيف يعيش ويستمر في حياته من لم يعرف الله ولم يقترب منه!! السعادة في "القلب" والقلب بيد الله، إذا أحبك صنع "فرحتك"، وأمر كل خلقه أن يحبوك! أن تسير على الأرض فتعرفك وتحب سيرك عليها، أن تراقبك السماء وتسعد بمرورك تحتها! كل شيء سيتسق وكل الأشياء الجميلة ستبدأ! أن تكون حياتك كلها لله! في الرخاء والشدة، في السراء والضراء ... حتى عندما يشتد البلاء وتتأخر الإجابة، تعلم ساعتها أن الله يريد أن يسمع "صوتك" وتضرعك وصدق لجوئك ... أتظنه لا يشعر بك ولا يحس ببلائك ولا يقدر على تغيير واقعك؟! لا والذي نفسي بيده، هو يسمعك ويشعر بك وهو أقرب إليك ... لكنه البلاء والاختيار الأفضل ... لا أجيد دور الواعظ ولا "أحبه" ولكنك سألتني عن السعادة يا صديقي ... إذا

كان همك قد زاد وغربتك قد طالت ولك أحلام ورغبات مشروعة وأحلام "مؤجلة" قد طال انتظارها فضعها كلها بباب الله واسجد واقترب، ولا تخف يا صديقي فربك سميع قريب مجيب، فعله كله خير ... وما زالت الأحلام "ممكنة" ما دامت النفوس "مؤمنة"!

***

أتحسس إيماني!!

قال بصوت "حكيم ومحب" وهو ينظر بعيدًا: أراك تترك لحيتك وتتورع أن تحلقها أو أن تأخذ منها، ولكني أراك "تأخذ" من دينك كثيرًا ولا تهتم! أترك لحيتك كما تشاء ولكن اهتم بإيمانك أيضًا، جدده ولا تأخذ منه، فإني أخشى أن يأتي عليك يوم تكون لحيتك "مرسلة" وإيمانك "حليق"... تركته وانصرفت وأنا أتحسس "إيماني"!

***

عن العابرين سريعًا!

كتب يرثيها "الآن توقف الزمن وفقدت كل الأشياء معناها، رحلتِ بهدوء كما عشتِ بهدوء! كل شيء يذكرني بك، أحببتك فعلًا! أعرف أنني لم أقلها كثيرًا، لكني لم أتوقف عن حبك أبدًا، في كل مرة أراكِ فيها وأضمك إلى صدري أرغب أن أقول لك "بحبك" ولا أدري ما يمنعني؟! أتألم فعلًا ولكنني تعودت العطاء والبذل كتعبير عن الحب وكانت الكلمة ثقيلة عليَّ وأعجز أن أقولها حتى لأهلي أو أصدقائي! لقد كنت رائعة وطيبة فعلًا، وأمثالك يعبرون الحياة بسرعة! لم تحمليني بأي أعباء مادية ولم تطلبي شيئًا لنفسك إلا نادرًا وكنت أنا الذي أطلب منكِ وألح عليكِ أن تأخذي ما تريدين! كل أموالك وحتى معظم "ذهبك" كنت تتصدقين به على الفقراء وتساعدين به المحتاجين، فقد كنتِ من صانعي الفرحة! لم تتطاولي عليَّ في أي يوم ولم أسمع منك أي كلمة سيئة!

وفي المرات القليلة التي اختلفنا فيها كنت البادئة بالمصالحة حتى وإن كنت أنا المخطئ! لم تدخلي أحدًا من أهلك بيننا أبدًا! ربيت أولادنا على الخوف من الله والصدق فصاروا يشبهونك في كل شيء! أتذكرك وأنت واقفة في المطبخ تعدين الطعام تستمعين للقرآن الكريم، ورغم أن زواجنا كان "تقليديًا" إلا أنكِ غمرتِني بمشاعركِ "المؤجلة" التي تفتحت بيننا! أراك

في كل الأشياء وكل الأماكن تذكرني بك، أفتح دولاب ملابسك وأقف لأبكي "كالأطفال"، وأقف أمام "التسريحة" لأشاهد أشياءك الساكنة فوقها وكأنها تنتظرك وتحن إليك "مثلي"، ولكنها لا تدرك أن من ذهب لا يعود! لعلك الآن في حال أفضل بين يدي من لا يظلم، وأنا أُشهد الله أنني راضٍ عنك تمامًا وأنني لم أعرفك إلا خائفة منه طائعة له، تكثرين من الصوم والصلاة وتتعاملين بأرقى الأخلاق. راضٍ أنا بقضاء الله ومؤمن بقدره ولكنني "وبصدق" أشتاق إليكِ وأفتقدك بشدة، وأتمنى أن يعود الزمن للحظات كي أمسح بيدي "المرتعشة" على رأسك الطيب وأقبل جبينك وأحتضنك بين ضلوعي قريبًا من قلبي "المنهك" وأخبرك أنني "أحبك"، أحبك فعلًا وأفتقد كل شيء فيكِ... كل شيء! رحمك الله ولعلنا نجتمع مرةً أخرى "برحمته" في جنته بعد نهاية الرحلة حيث السعادة الدائمة والفرحة المكتملة والنعيم المقيم، لعلنا يا حبيبتي، لعلنا يا حبيبتي" ... الآن أخبر من تحبهم بأنك "تحبهم" وانظر إلى وجوههم الطيبة فربما لا يتكرر اللقاء!!

***

وأن تكوني عملي الصالح!

كتب في رسالته الأخيرة "أراك تكبرين يا ابنتي بسرعة، أحببتك فعلًا وكنت سبب "فرحتي" وأشعرتِني دائمًا بنعمة "الأبوة" ويا لها من نعمة، كثيرًا ما طلبت منك وأنت صغيرة أن تسألي الله أن يغفر لي ويرحمني، كنت تستغربين وتضحكين ببراءة وترفعين يدك "الصغيرة" وتطلبي من الله أن يغفر لـ "بابا" ويرحمه، كان ظني دائمًا أن الله لن يرد قلبك النقي ويدك الصغيرة خالية وأنه سيستجيب لك! ستدركين مع الوقت أن والدك كان إنسانًا "عاديًّا" يُخطئ ويُصيب، ولكنه كان يحب الخير ويكره الشر، ربيتك على محبة الله والخوف منه ولم أطعمك من "حرام" أبدًا، حاولت تحقيق كل طلباتك وأحلامك الصغيرة على قدر استطاعتي، ورغم هموم الحياة إلا أن ابتسامتك الرائعة واحتضانك لقدمي كانت تنسيني كل شيء! لا أدري متي سيحين موعد قراءة هذه الرسالة يا ابنتي الحبيبة ولكنني سأكون وقتها قد غادرت قطار الحياة في المحطة المقدرة، ولهذا أطلب منك أن تكثري من الدعاء لي "بصدق" وأن تسألي الله أن يغفر لـ "بابا" وأن يرحمه وأن تكوني عمل الصالح الذي بقي لي، لا تحزني ولا تبكي كثيرًا فدموعك تؤلمني

ولن أكون بجوارك "كعادتي" لأمسح دموعك واحتضنك، ولكن تأكدي أنني أشعر وأحس بك تمامًا فأنت قطعة مني يا صغيرتي ولا بُدَّ من لقاء مهما طال الزمن، ولعله يكون "هناك"، حيث السعادة الدائمة والنعيم المقيم والفرحة "الكاملة" مع الأنبياء والأنقياء والصالحين والمصلحين، لعله يكون هناك يا صغيرتي ... لعله يكون هناك!

***

عن المؤلف

محاضر بكلية التعليم المستمر بالجامعة الأمريكية منذ 2008 وحائز على جائزة أفضل محاضر في تخصصه لعشر سنوات متتالية.

حاصل على الماجيستير المهني والدكتوراه المهنية في إدارة الأعمال في تخصص إدارة المشروعات.

مدير مشروعات واستشاري نظم في كبرى الشركات العالمية. عمل وأدار أكثر من 2000 مشروع في مجال نظم المعلومات في الشركات الكبرى ومتعددة الجنسيات: مصر، السعودية، قطر، الإمارات، المغرب، تونس، البحرين، لبنان، أثيوبيا، ليبيا، الكويت، الجزائر، العراق، تركيا، سوريا، الأردن، أمريكا، إنجلترا، وغيرها.

كاتب ومدون وله مقالات منشورة في أكثر من صحيفة وموقع، وشارك في العديد من البرامج التلفزيونية المتعلقة بمجال التخصص المهني بالموضوعات الإنسانية والسلوكية والعلاقات الاجتماعية.

***

الفهرس